

من أجل الشبّاب

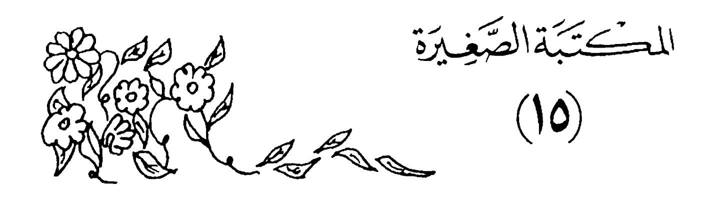
أحمد محمّد جمال

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

من أجل الشّباب

المكتبة الصغيرة

(١٥)



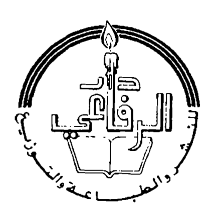
من أجل الشباب

أحمد محمد جمال



دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض

الطبعة الأولى : ١٣٩٥ هـ .
الطبعة الثانية : ١٣٩٧ هـ .
الطبعة الثالثة : ١٤٠٨ هـ .



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

* إن أهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين الأوائل

هي: أن الإسلام كان في الأساس حركة شباب *

مونتقمري وات.

الموضوعات

مقدمة

سألني بعض الأخوة الصحافيين[1] بعد عودتي من مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين الذي انعقد في إسبانيا ـ في منتصف شهر رجب الفرد عام **١٣٩٤** هـ وحضرْتُه ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي مرافقاً للأخ الفاضل الدكتور «محمد العروسي عبد القادر» المدرس في كلية الشريعة بمكة المكرمة ـ سألني أسئلة أربعة سأذكرها وأتبع كل سؤال بجوابه :

«السؤال الأول» :

ما دامت بلادنا هي منطلق الدعوة الإسلامية فلا بد أن تكون أجيالنا الصاعدة هي الرافد الحقيقي لهذه الدعوة . . وهذا يتطلب إيجاد جيل عقائدي ملتزم بالإسلام سلوكاً وتصوراً ومنهاجَ حياة . . كيف يمكن لنا الوصول إلى ذلك خصوصاً بعد

---

(١) هو الأخ رفقي عبد الكريم طيب ـ المحرر بجريدة (الندوة) المكية .

تحويل مديرية رعاية الشباب في بلادنا إلى رئاسة مستقلة. . وبعد تكوين مجلس أعلى لرعاية الشباب برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية[1].

ج - بعد تحويل رعاية الشباب إلى مجلس أعلى لرعاية الشباب تحت رئاسة سمو الأمير فهد بن عبد العزيز كتبت (وجهة نظر) في (الندوة). . تفاءلت فيها بهذا التحويل، واستبشرت خيراً برعاية سمو الأمير فهد للشباب، وقلت في كلمتي: إنه ينبغي ألا تقتصر رعاية الشباب على الرياضة البدنية، ولا على المواسم الثقافية التي تلقى فيها المحاضرات. . بل ينبغي أن يخطط لهذا المجلس، حتى يكون عمله منهجاً نافذاً لتحقيق الخُلق الإسلامي مظهراً ومخبراً في نفوس الشباب ذكوراً وإناثاً. أي أن المهم والمطلوب والواجب: هو التخطيط السليم لمنهج تربوي إسلامي، مع التطبيق الحازم دون هوادة أو مجاملة، ودون الاكتفاء بالمواعظ والمحاضرات والدورات والمباريات الرياضية هنا وهناك.

(١) أصبح سموه ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء مع بقاء سموه وزيراً للداخلية. ثم أصبح بعد ذلك ملكاً للمملكة العربية السعودية.

«السؤال الثاني»:

تشهد رابطة العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر مرحلة من التطور والتوسع في مختلف مرافقها وأجهزتها.. تُرى ما هي المقترحات التي تودّ لو قامت الرابطة باتخاذها في سبيل تصعيد الدعوة الإسلامية وصدّ التيارات الملحدة من غزو عالمنا الإسلامي الفسيح؟.

ج ـ لا شك أن رابطة العالم الإسلامي الآن، وبجهود معالي الشيخ محمد صالح القزاز تقوم بنشاط إسلامي كبير مادي ومعنوي.. وإن كان لي اقتراح أو رأي أقوله للرابطة.. فهو الاهتمام بالشباب والطلاب في الجامعات العربية والإسلامية في العالم. ولا أعني بالاهتمام: مجرد توزيع الكتب الدينية، وإلقاء المحاضرات الموسمية.. وإنما المطالبة بوضع مناهج تربوية إسلامية تطبيقية للطلاب والطالبات، مع مراقبة تنفيذها واختيار الصالحين للإشراف عليها.

فالطلاب والشباب ـ في نظري ـ هم الذين يجب أن يكونوا الهدف الأول والأخير لكل خطة ثقافية أو تعليمية ترمي لمقاومة المبادىء والأفكار المخرِّبة عقائدياً وأخلاقياً، فهم ـ أي الشباب والطلاب ـ قادة الغد وسادته، وحكّامه وساسته، فيجب التركيز على إنقاذهم، وإعدادهم من الآن. ولو أننا ـ رجال حكم

وتعليم وإعلام ـ في العالم الإسلامي والعربي بصفة خاصة. .
تفرغنا واهتممنا وأخلصنا (لقضية الشباب) ذكوراً وإناثاً لصلح ما فسد من أمر المجتمعات الإسلامية وقوى ما ضعف، واستقام ما اعوّج. . ولكان السبيل إلى عزة الإسلام وقوة المسلمين سهلاً ومضيئاً.

«السؤال الثالث»:

ما هي أهم مشكلات الشباب في العالم الإسلامي وكيف نعالجها؟.

ج - في نظري أن الشباب المسلم يفتقد الرعاية الواعية، والرقابة الكافية. . والحرص اللازم من ولاة أمورهم آباء ومعلمين وحكاماً على تجنيبه مهاوي التقليد الأعمى التي تتفتح أمامه عن طريق الكتب والمجلات والصحف والإذاعة والتلفاز والرحلات إلى خارج محيطه الخاص. . حيث التحلل من القيم والمبادىء الدينية والأخلاقية. إن (الرعاية) الموجودة للشباب المسلم في بلاده وخاصة في المدارس والجامعات ليست كافية لردعه عن الانهيار النفسي والانحدار الخلقي اللذين يعانيهما. . ولن يخلص منهما عن طريق الندوات والمحاضرات والمواعظ والنصائح، وإنما يخلص منهما ـ كما أسلفت ـ بالتربية التطبيقية الحازمة في كافة مجالاته وعلاقاته وحركاته وسكناته.

«السؤال الرابع»:

مارستم التدريس بالجامعة وما زلتم تمارسونه أستاذاً للثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.. سؤالي: من واقع التصاقكم بالجامعة، ما هي رسالة الجامعات في نظركم؟ وكيف تستطيع جامعاتنا أن تؤديَ دورها وتقوم برسالتها على الوجه المطلوب تجاه الشباب؟.

ج ـ رسالة الجامعات «الرسمية» المتعارف عليها علمياً هي الوصول بالطلاب إلى مستوى قوي ومتين ورفيع من المعرفة النظرية والتطبيقية.. وهذا ما عملت وتعمل له الجامعات في العالم قديماً وحديثاً. ولكننا نحن المسلمين ـ في مختلف أنحاء الدنيا ـ ينبغي أن تكون رسالة الجامعات عندنا: تزويداً بالعلوم، وترشيداً بالأخلاق في وقت واحد.

(فالعلوم) في مفهوم الإسلام منذ جاءنا محمد ﷺ بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ليست مجرد نظريات وأفكار للتعليم أو الإلقاء أو التلقين والحفظ، وإنما العلم في الإسلام: معرفة وسلوك، قول وعمل، فكر وخلق.

ولما لمسْتُه وما أزال ألمسه من اهتمام فكري ونظري بالشباب محلياً وعالمياً ـ رأيت نفسي مشدوداً إلى وضع هذا الكتيب

كمذكرة أو تذكرة سريعة ووجيزة للشباب وعن الشباب. . أزماته ومشكلاته، حقوقه ومسؤولياته، ثم إهدائه إلى رعاة الشباب في بلادي أولاً، ثم رعاته في البلاد العربية والإسلامية. . فإنهم أحق به وأهله، والشباب أنفسهم هم أبنائي وإخوتي، وأصدقائي خلال تدريسي بالجامعة والتقائي بهم خارجها على مودة ونصح ومشورة.

فعسى الله الكريم العليم أن يتقبّله مني عملاً خالصاً لوجهه ذي الجلال والإكرام. . ولعل رعاة الشباب في بلادي وفي البلاد العربية والإسلامية أن يتقبلوه مني هدية وتحية في آن واحد. . سدد الله خطاهم نحو خير العباد والبلاد.

أحمد محمد جمال

رجب ١٣٩٥ هـ
يوليو ١٩٧٥ م.

الشباب في اللغة

إذا طالعنا المعاجم اللغوية نجد حديثها عن الشباب على النحو التالي:

● الشباب هو الفتاء والحداثة - وأصله من شبّ النار إذا أوقدها، فتلألأت ضياءً ونوراً. ويقال: شبّ الجواد إذا رفع يديه معاً إلى أعلى.

فالشباب - إذن - يعني الطموح والارتفاع والتحفز.

● الناشىء: هو من بلغ العاشرة أو جاوزها قليلاً؛ والمراهق: من كاد يبلغ الحلم أو بلغه - والشباب بين الثلاثين والأربعين.

● الكاعب: هي التي برز ثدياها - والناهد: إذا زاد بروزهما؛ والنَّصَف: هي التي بين الشباب والكهولة.

انحراف الشباب عالمياً

- الشكوى عامة في كل مكان من انحراف الشباب . .
- شكوى الشباب أنفسهم من إهمال المسؤولين عنهم .

مثّلت «رابطة العالم الإسلامي» في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين، الذي التأم شمله في إسبانيا[1] والذي دعت إليه الجمعية الإسلامية في غرناطة برئاسة الأستاذين رامز الأتاسي ونزار الصباغ.. وأود أن أقول - بادي الرأي - أن وزارة المعارف في بلادي قد دعت مرتين إلى ندوة عالمية للشبيبة الإسلامية عقدت في الرياض. وهي - أي وزارة المعارف - ما زالت قائمة على شؤون هذه الندوة، ومنظمة لنشاطاتها.. بريادة الوزير المخلص الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ.

وأضيف: أن قراراً حكيماً أصدره مجلس الوزراء الموقر السعودي بتوجيهٍ من الملك القائد الراشد «فيصل» (رحمه الله) بإنشاء مجلس أعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الأمير فهد بن

(١) كان ذلك في منتصف رجب ١٣٩٤ هـ.

عبد العزيز ـ ولي العهد ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . . وأخلص من هذه الفاتحة الوجيزة إلى التأكيد بأن الاهتمام بالشباب أصبح فكرة غالبة، ودعوة دائبة في كل مكان من العالم بصفة عامة، وفي عالمنا الإسلامي والعربي بوصف خاص.

وهي ظاهرة تدل دلالة سافرة على أن (الشباب) يعاني مشكلات نفسية وتربوية وثقافية واجتماعية جديرة بالدرس والتفهم أولاً، ثم بالمسارعة إلى الحل والمعالجة ثانياً . .

ونبدأ الآن في تلخيص وجهات النظر المتعددة ـ ولكنها متقاربة ـ حول أسباب انحرافات الشباب سواء في عالمنا العربي والإسلامي، أم في العالم الأوروبي والأمريكي، الذي سبق إلى شبابه هذا الوباء الأخلاقي ثم سرت إلى شبابنا عدواه وبلواه . .

كما نثبت ما يراه رجال التربية والتعليم والتوجيه الاجتماعي من وسائل أو طرائق لمواجهة هذه الانحرافات الشبابية . . على مستوى الأسرة، والمدرسة أو الجامعة، والمجتمع عامة . .

لماذا ينحرف الشباب؟

في دراسة جنائية للواء محمد علي أندرقيري ـ مدير إدارة الجنايات بالأمن العام ـ جاءت ثمرة لخبرته الخاصة بحكم عمله، ولحضوره مؤتمرات دولية عديدة تتعلق (بالجريمة والمجرمين) ـ يقول اللواء الأندرقيري:

● للتاريخ. . أرجو من كل رب أسرة، ومن كل شاب وشابة في بلادي: أن يعلموا أننا في السعودية أسعد مجتمع، فلقد طفت العالم شرقاً وغرباً، وبحكم عملي كرجل أمن. . كنت أطّلع على إحصاءات الجرائم في كل قطر ومدينة، فكنت أفخر بان بلدي أكثر بلاد العالم أمناً واستقراراً، وكنت أعجب كيف ان دولاً كثيرة سبقتنا في العلم والصناعة، وتفخر بأنها أكثر منا مالاً وقوة ـ لم تستطع هذه الدول أن تحقق لمواطنيها الأمن والاستقرار، فتطالعنا جرائدها اليومية صباح مساء بأنباء الجرائم

البشعة التي من شأنها أن تهزّ كيان المجتمع، وتجعله في خوف دائم وهلع مستمر..

● ثم يقرر اللواء الأندرقيري: إن معظم الجرائم المرتكبة في العالم إنما تقع من الشباب.. وأنها وليدة انفعالات نفسية تتعدد مظاهرها وصورها، كما تتفاوت أسبابها ودوافعها.. بين: حب الانتقام، وإشباع الرغبة الجنسية، والطمع في الحصول على المال، وحب السيطرة. وتنشأ هذه الانفعالات الإجرامية في نفوس الشباب نتيجة لعاملين: أحدهما: عدم توفير التعليم في كل مرحلة. الثاني: عدم توفير العمل والكسب الشريف. ومن المؤسف ـ كما يرى اللواء الأندرقيري ـ أن كثيراً من الدول، لا تهتم بتوفير فرص التعليم أكثر من المرحلة الابتدائية، وتشترط لدخول المراحل التالية: أن يحصل الطالب على نسب معينة من الدرجات؛ وأما الجامعات فلا يدخلها إلا النابغون، وإذا عرفنا أن نفقات التعليم في كثير من هذه الدول لا يقوى على دفعها إلا الأثرياء، بدت لنا واضحة مشكلة الطلاب الفقراء، الذين يضطرون إلى ترك الدراسة للبحث عن عمل أو وظيفة، ومن بين (١٠٠) طالب للعمل يحظى خمسة منهم فقط بالعمل المطلوب بأجر رخيص، فأين يذهب الأكثرون، وكيف يعيشون؟ وماذا ينتظرهم من ظلام وضياع بعد أن سدت السبل

امامهم وأغلقت الأبواب في وجوههم؟ إنه الانتقام ثم الإجرام..

● وليس من مكافحة ناجحة لجرائم الشباب إلا إعطاء الدول فرص التعليم، وفرص العمل لشبابها، فبذلك تحميهم من الحيرة والقلق والخوف، وسط هذا العالم الصاخب اللاغب الذي يعيشون فيه [١].

وفي تقرير لمؤسسة (أمباسا دور كوللج) الأمريكية عن ظاهرة الضياع والملل والخيبة التي أصابت الشباب الأمريكي والأوروبي[٢] فأدت به إلى الانحراف إلى عالم (الهبيز)، والغرق في شهواته الآسنة التي أفقدته طاقاته وقدراته وامتيازاته البشرية. قالت المؤسسة:

● إن الشباب باعتناقه (حرية الجنس) يعيش حياة أخلاقُه فيها كأخلاق القطط، يزاول فيها كل أنواع الجنس وأشكاله،

---

(١) ملخص بتصرف عن مقالات للواء الأندرقيري - نشرتها جريدة (البلاد) قبل بضع سنوات.

(٢) يقول الرئيس الأمريكي الراحل جون كندي: إن الشباب في أمريكا أخذ في الانحراف بصورة مزعجة حتى أصبح لا يصلح للتجنيد منهم إلا شخص واحد من كل سبعة أشخاص.

فلا غرابة أن تنتشر بينهم الأمراض التناسلية، بنسب كبيرة تصل أحياناً كثيرة إلى درجة الوباء.

ثم ذهبت المؤسسة تشرح أسباب نشوء هذا (المسخ البشري) كما سمته، وتعني به فريق (الهبيز) الذي تقلده غالبية الشباب في العالم، وتمضي في طريقه القذر العفن، فذكرت ما يلي:ـ

● الأطفال يرون في مجتمعهم، وبين آبائهم وأمهاتهم وأقربائهم، سلوكاً ذا وجهين حيث الكذب والنفاق والتناقض، وحيث تعتبر السرقة منهج حياة كما يكون الغش طريق النجاح، والمصلحة الذاتية هي الغاية لكل متعلم وكل عامل، وحيث الكنائس لا تزيد عن كونها مباني أشبه بالخرائب لخلوها من القوى الروحية الحقيقية.

● ثم هؤلاء الأطفال ينشأون في أسر مفككة، أو في بيوت شقية، يغيب فيها الحب المتبادل بين الأبوين، أو في بيوت خاوية على عروشها، لأن الأم والأب كلاهما يعملان ساعات طويلة خارج البيت، فلا يجد الأولاد من يحدثهم ولا من يوجههم، أو يلومهم إذا أخطأوا، ويثني عليهم إذا أحسنوا..

وبذلك تنشأ الهوّة الفكرية بين الكبار والصغار.. وبالتالي يبدأ شذوذ الصغار ونفورهم وعصيانهم.. إلى جانب فساد

الأسرة والمجتمع. . يعيش الأطفال كما يعيش كبارهم في خوف من حرب ذرية، ومن سباق الفضاء ومن نشوب حرب عالمية. ومن هنا ينشأ القلق في نفوسهم، كما ينشأ اليأس من إيجاد حلول عاجلة أو آجلة للأزمات العالمية والنزعات الدولية، واليأس أيضاً من اكتشاف أدوية للأمراض المتزايدة. . كأمراض القلب والسرطان. . ثم يكون (رفضهم) لهذا العالم العنيف المخيف.

النفور. . والإعراض بين الشباب والشيوخ

أما (كلود ألزون) في كتابه (محاولة لتفسير عدم النضج في أوساط الشباب) ـ فيتّهم الشباب المعاصر بالطفولة والعجز. . ويقول إن على الشباب ألا ينساقوا إلى التأييد والطاعة العمياء، بل عليهم أن يفهموا ما يطرح عليهم من مبادىء وعقائد وتقاليد، ويعلِّل كلود رأيه: بأن مشكلات الشباب المعاصر ناتجة عن الهوّة السحيقة من عدم الفهم المتبادل بينه وبين عالم الكبار.

● قلت: صدق كلود ألزون ـ في وجهة نظره ـ فالشباب نافرون، والكبار معرضون أو متجاهلون. . وكان على هؤلاء (الكبار) من آباء وأمهات ومدرسين ومدرسات، وموجهين اجتماعيين وموجهات: ألا يقابلوا نفرة الشباب بنفرة مثلها، بل

يقابلونها بمحاولات حانية عاطفة لترويضها وتهذيبها، وإقناعها بالعودة إلى الطريق الصحيح ـ ويقابلونها كذلك بالمسارعة إلى حلول كافية شافية لمشكلات الشباب.. التعليمية والوظيفية والاجتماعية والجنسية جميعاً.

* * *

وفي ندوة (الحوار الإسلامي المسيحي) التي انعقدت في لبنان سنة ١٣٨٨ هـ وتحدَّث فيها عدد من أعلام الفكر الإسلامي والمسيحي ـ قال الأستاذ إنعام الله خان سكرتير المؤتمر الإسلامي في كراتشي: «إذا كان شباب اليوم هم قادة الغد، فإن واجب شيوخ الأمة الإسلامية أن يساعدوا الشباب المسلم، وأن يسددوا خطاه ويعدوه للاضطلاع بمسؤوليات المستقبل»..

ثم أضاف الأستاذ إنعام الله قوله: (إن قادة العالم الإسلامي يهملون شبابهم.. إهمالاً أدّى بالكثير منهم في بعض الأقطار إلى الافتتان بسحر الغرب، والوقوع في «المادية» سواء اتجهوا غرباً أو شرقاً).

● وما يقوله الأستاذ إنعام حق وصدق.. مع أن الإسلام دين يهتم بالأخلاق في الدرجة الأولى، ويجعل (الشيوخ) في مقدمة المسؤولين عن تربية الشباب توجيهاً عن طريق القول والقدوة العملية في وقت واحد. وفي الفصل الثاني من هذا

الكتيب، يتجلى اهتمام الإسلام قرآناً وسنة وتاريخاً برعاية (الشباب)، وتربيتهم على مكارم الأخلاق منذ الطفولة والصِّبا . .

الشباب يعيش في عصر الأزمات والمشكلات

يرى بعض المفكرين الإسلاميين، الدعاة إلى الإصلاح: أن الشباب، من سوء حظه، يعيش في عصر الأزمات والمشكلات، عصر القلق النفسي، والاضطراب الفكري، وفقدان الثقة، وحرص الفرد على أخذ حقوقه، وإهماله لحقوق الآخرين.

هذا إلى جانب استغلال القوّامين على الحركات الثورية والأحزاب السياسية لطموح (الشباب) وحماسه واندفاعه، واستخدامها له لتحقيق أهدافها العقائدية والسياسية . .

وقد أنتج ذلك بلبلة وفوضى في مراكز تجمعات الشباب، كالجامعات والمعاهد والمعامل والمصانع، فسادتها الفوضى، وقلة الإنتاج العلمي والصناعي . . بل اضطراب هذا الإنتاج وقلة جدواه، ونشب الخلاف، واشتدّ الصدام بين رجال التربية والتعليم، وبين الطلاب من الشباب، وبين الشباب من العمال الصناعيين، وبين رؤسائهم ومديري المؤسسات الصناعية التي يعملون بها.

ويعتقد سماحة الأستاذ أبو الحسن الندوي ـ المفكر والداعية الإسلامي المعروف ـ: إن قلق الشباب واضطراب سيره، يرجعان إلى أمور عديدة: منها عدم إيمانه بقيمة ما تعطيه الجامعات من ثقافة وعلم ـ وتشكّكه في إخلاص أساتذته وموجهيه ونزاهتهم وسموهم عن الأغراض الشخصية ـ ثم ضعف الصلة بين الطلاب ومدرسيهم، وافتقاد الشباب لرسالة ما: يؤمنون بها، ويتحمسون لها، ويعملون في سبيلها.

ولإصلاح هذا الوضع القلق المضطرب «للشباب» يقترح الأستاذ الندوي: إثارة شعور الإيمان بمنافع العلم الدنيوية والأخروية في نفوس الشباب ـ وإيجاد القدوة الحسنة علماً وعملاً وسلوكاً من أشخاص المدرسين والموجهين للشباب ـ إلى جانب شغل عقولهم بفكرة أو دعوة تمنعهم عن تقبل الأفكار والدعوات الوافدة المعاكسة للإسلام، ثم إقامة نظام اجتماعي رواقي يعيش فيه الشباب حياة اجتماعية إسلامية.

وبالنسبة للشباب العربي في منطقة الشرق الأوسط، قال بعض الخطباء من السياسيين العرب: إن شبابنا، كي يواجه تحديات الصهيونية الغادرة الماكرة، لا بدّ له من التزود بالخبرات العلمية والفنية.

● قلت رداً على قوله: إن الشباب العربي، في مواجهته لتحديات الثلاثي المتآمر على كرامة منطقة الشرق الأوسط واستقلالها، الطامع في ثروتها وخيراتها المفسد لأمنها واستقرارها، لا يحتاج إلى علوم وخبرات وفنون فهو يعيش في عصرها الذهبي، ثم هو ـ أيضاً ـ يتلقى دراسته وتجاربه فيها داخل بلاده وخارجها دون انقطاع.

ولكن الشباب العربي والإسلامي ـ في هذه المنطقة وغيرها ـ محتاج احتياجاً شديداً وعميقاً وشاملاً إلى تربية سلوكية، تنمي فيه الرجولة والإرادة والأخلاق. هذا الثالوث التربوي العلمي، الذي يفتقده شباب المنطقة وهو سلاحه الباتر، وزاده الوافر في معركته مع التحديات المخربة لعقيدته وأخلاقه، المتآمرة على مستقبله وغده العاملة على خداعه وضياعه.

ذلك لأن نظرية (العلم لأجل العلم) هي التي جرّدت الغرب حين آمن بها وطبّقها في جامعاته ومؤسساته العلمية والتقنية، جرّدت شبابه ورجاله ونساءه من العقيدة الصحيحة، ومن الخلق الإنساني، ومن الإيمان بالمثل والمبادىء والغايات التي ميّز الله بها الإنسان عن الحيوان.

الشباب يعيش حياة مادية جنسية

وهناك من الدعاة الإسلاميين من يرى أن مشاعر الشباب المسلم تفتحت ـ في هذا العصر ـ على حياة مادية رهيبة، حياة تقوم على التظالم والتطاحن والتحلل، حياة تلاحقه وتطارده، فيها بواعث الفتنة والرذيلة: من أفلام تجارية تتنافس في إثارة الغرائز الدنيا، وإشباع النزوات الرخيصة، ومجلات تحمل على أغلفتها وداخل صفحاتها صوراً للنساء العاريات الكاسيات، وتفوح منها رائحة العفن الخلقي التي تجتذب الحيوانات الضالة، وكتب تتحدث عن قصص الجريمة التي تجعل من الحَمَل الوديع وحشاً ضارياً، وأغاني مبتذلة وألحان تعتمد على التأوه والتثنِّي، وتئد الرجولة، وتمجِّد الميوعة، وإعلانات تجارية تروِّج لسلعها بمناظر نسائية مثيرة، ورسائل الإلحاد والكفر تحطم القيم العقائدية، وتحضّ على التمرد على الفضائل، وتدعو إلى كسر كل القيود الأخلاقية.

ويرى هؤلاء الدعاة الإسلاميون: أن مكافحة هذا الوباء العقائدي والأخلاقي بين الشباب المسلم، تتركز في إفهامه حقيقة دينه، وإعطائه القدوة الحسنة من الكبار آباء وأمهات ومدرسين وموجهين ورجال حكم، لأن المواعظ وحدها لا تكفي. كما لا تشفي التعاويذ والتمائم الأمراض البدنية، وكما

لا تقاتل الجيوش ابتداءاً أو دفاعاً بالصلوات والدعـوات.. فكذلك انحرافات الشباب لا تقوَّم إلا بإزالة (التناقضات) من مجتمعـاتهم وأسـرهم، ومـدارسهم وجـامعـاتهم، وأسـواقهم ومتاجرهم.

وعلى ذكر المدارس ـ دنيا كانت أم عليا على مستوى الجامعة ـ يلاحظ رجال التربية الإسلاميون، أن الطلاب يتلقون أمشاجاً من القيم، وأخلاطاً من الآراء المتناقضة، من أساتذة متناقضين فكراً ومنهجاً وسلوكاً، فهم ـ أي الطلاب ذكوراً وإناثاً ـ يتلقون من مدرس الفلسفة والأخلاق، نقيض ما يدرسون على يد أستاذ الدين، ويتعلّمون من أستاذ العلوم، عكس ما درسوه من كليهما.

* * *

وكما هو الحال في البيئة التعليمية والتربوية في المجتمعات الإسلامية، يتكرر التناقض نفسه في مجالات الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحافة، فحيث يتلو قارىء القرآن آيات عن غضِّ البصر، وحفظ الفرج، وستر العورات، يأتي بعده حديث أو تمثيلية أو أغنية تُغري بالنظر إلى مفاتن المرأة، وتثير الشهوة الجنسية في نفوس الفتيان والفتيات وتشجّع على الاختلاط بين الجنسين، وتبادل رسائل الحب والغرام والتماس اللقاء الحرام.

وهكذا دواليك تتتابع برامج الإذاعة والتلفاز ومقالات الصحف، وإعلاناتها التجارية وصورها العارية الكاسية متناقضةً متنافرةً يفسد الخبيث منها الطيب، ويهدم المفسد منها المصلح، وتوقظ فتناً نائمة، وتثير غرائز ساكنة، ويكذِّب بعضها بعضاً، وينقض آخرها أولها. . الأمر الذي يجعل الشباب في حيرة وقلق يتحولان قليلاً قليلاً إلى (رفض) عنيف لمكارم الأخلاق ومبادىء الدين، وهتك لمحرمات الأعراض وعورات البيوت.

من أجل ذلك يركِّز كثير من رجال التربية والفكر والدعوة الإسلامية في كل ما تحدثوا أو كتبوا حول الشباب على مسألة (المثال الشخصي) الذي يفتقده هؤلاء الشباب في (الكبار) وعلى مشكلة (التناقض) بين القول والفعل، وبين النظرية والسلوك، ويشيرون إلى أن التربية الإسلامية تعتمد أول ما تعتمد على (القدوة الطيبة) من الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات، فالقرآن الكريم يؤكد مبادىء هذه التربية الناجحة في مثل هذه الآيات:

● ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾.

● ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾.

● ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾.

● ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾.

ونستطيع ـ الآن ـ أن نلخّص مصادر انحراف الشباب كما تحدث عنها رجال الفكر والتعليم والتربية والتوجيه الاجتماعي في سطور معدودة:

أولاً: إهمال (الكبار) من آباء وأمهات، ومعلمين ومعلمات، وقادة ودعاة. . لتوجيه (الصغار) الذين هم الشباب، وعدم إعطاء الكبار القدوة الصالحة من أنفسهم للشباب فيما يقولون وما يعملون. .

ثانياً: التناقض الواسع الذي تعيش فيه مجتمعاتهم في مناهج التعليم، وبرامج الإذاعة والتلفاز ومقالات الصحف وأخبارها، ومبادىء السياسة ومذاهب الاقتصاد.

ثالثاً: تضييق الدول لفرص التعليم والتشغيل على شبابها، مما أدى إلى اضطرارهم لارتكاب الجرائم: انتقاماً أو كسباً للقمة العيش، أو إرواء للغرائز العطشى.

رابعاً: افتقاد (الحياة) في المجتمعات العـامة حيث ازداد تكشف النساء، وإبداؤهن للمفاتن والمحاسن من أجسادهن، ونشر صورهن العارية في الصحف وأغلفة المجلات، وعلى أبواب دور السينما، وجدران الشوارع العامة.. الأمر الذي شغل أبصار الشباب وبصائره بالتفكير الدائم في (الجنس) غراماً به وبحثاً عنه، وحرصاً عليه.

وفي الفصل التالي ـ أو المحاضرة الثانية ـ تتجلى عبقرية الإسلام في رسمه لمنهج التربية العملية «للشباب» منذ الطفولة، وتركيزه على مسؤولية الكبار عن الصغار أي الشيـوخ عن الشباب، رعاية وتوجيهاً وقدوة..

اهتمام الإسلام بالشباب

قرآناً ـ وسنة ـ وتاريخاً

كان الاهتمام بادياً، في كل مؤتمر إسلامي، بأوضاع الشباب المسلم، والعمل لتوجيهه.. في عدد من العواصم العربية والإسلامية.. في مؤتمر البحوث الإسلامية الذي عقد في القاهرة في أوائل عام ١٣٩١ هـ وحضرته ممثلاً (لرابطة العالم الإسلامي)، وفي اجتماع اتحاد المنظمات الإسلامية الذي انعقد في منتصف شهر ذي الحجة عام ١٣٩٠ هـ بمكة المكرمة، وفي دورات سابقة لرابطة العالم الإسلامي، وفي ندوة الحوار المسيحي الإسلامي التي التأمت في بيروت سنة ١٣٨٨ هـ، في كل هذه المؤتمرات وغيرها ألقيت بحوث علمية وأخلاقية عن (الشباب)، وواجب رجال الحكم والسياسة والتربية والتعليم نحوه، تربية وتعليماً وترشيداً، وإعداداً للغد المرتقب، بكل مسؤولياته، وقضاياه، وأماناته الثقال.

وفي المؤتمر الإقليمي الذي عقد بالكويت قبيل مؤتمر (كيوتو)

الذي عقد باليابان عام ١٩٧٠ م للبحث في أسباب انتشار الجرائم الأخلاقية في العالم، قرر المؤتمرون: (أن ضعف الوازع الديني لدى الشباب اليوم هو أكبر أسباب انتشار الجرائم في المجتمعات الإنسانية بصورة لم تعهد من قبل).

إذن فالحديث عن (الشباب) ومسؤولياتنا تجاهه كأمة تحظى دون الأمم الأخرى بمنهج تربـوي فريد واجـب ومناسب للمقام مكاناً، وزماناً..

إن الشباب هم أمل الحاضر، وعدة المستقبل.. أي رجال المستقبل: قادته، حكّامه، وزراؤه، قضاته، ومعلمو أجياله التالية. وإذن فمهمة إعداده وتربيته ليست سهلة ولا هيّنة، وواجب إصلاحه وتقويمه ليس أمراً ثانوياً، بل هو فريضة على الآباء والأولياء، واجبة الأداء.

لذلك وجب أن يبدأ في تكوين الشباب منذ النشأة الأولى، منذ الطفولة الباكرة، على أن يستمر هذا التكوين الراشد في أطوار العمر. ونحن المسلمين ينبغي أن نُخْلِص في تكوين شبابنا على أساس إسلامي، فلا ندعه ينشأ على عادات غير إسلامية، ولا نطيل إقامته في جو غير إسلامي، وإذا اضطررنا إلى ذلك من أجل الدراسة، فلنقم له البيوت الإسلامية هناك،

التي يجد فيها بيئة أهله: معيشة وسلوكاً، وأداء لفرائض الدين، واستمساكاً بآدابه، وسيراً على هداه.

ودور الأبوين في تكوين الشباب، منذ النشأة الأولى، مهم وفعال، وقد أكد أهميته وفعاليته التوجيه النبوي: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه»[1].

أما اهتمام الإسلام - قرآناً وسنة - بالشباب تربية وتعليماً، وإصلاحاً وتقويماً، فهذه بعض مبادئه ونماذجه:

اهتمام القرآن بالشباب

يلفت القرآن الكريم أنظار الآباء إلى مهمتهم الأبوية المقدسة، وفي وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه عن هذا الأب الحكيم[2] في هذه الآيات الكريمات التي بدأت بالثناء على لقمان بأنه أوتي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) اختلف في نبوة لقمان.

● ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن الله غني حميد ﴾.

● ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾.

● ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبّة من خردل، فتكن في صخرة، أو في السماوات، أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾.

● ﴿ يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور ﴾.

● ﴿ ولا تصعِّر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً، إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾.

● ﴿ واقصد في مشيك، واغضض من صوتك. إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾[1].

إن هذه الوصايا التربوية، التي حكاها القرآن على لسان لقمان.. كنموذج لاهتمام الآباء بالأبناء، أو عناية الشيوخ

---

(١) سورة لقمان من ١٢ ـ ١٨.

بالشباب واضحة المعاني، سامية الأهداف لا تحتاج إلى تفكير كثير، أو إلى تفصيل طويل.

فهي أولاً: النهي عن الإشراك بالله عزّ وجلّ، فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة، لأنه الخالق الرزاق والمحيي المميت، وهو الفعال لما يريد.

وثانياً: التنبيه إلى أن الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأن الأحداث والأشياء الصغيرة.. مهما دقت وخفيت فإن الله يعلمها ويأتي بها يوم القيامة، ويحاسب عليها.. إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.. إن الله لطيف خبير، فعلى الشباب الذين لهم - على آبائهم وأولياء أمورهم من الشيوخ - حق التعليم والتوجيه: أن يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله عزّ وجلّ، ولعلمه الواسع، وخبرته المحيطة.

وهي ثالثاً: الأمر بإقامة الصلاة، التي هي عمود الإسلام، وهي كذلك فرق ما بين الكفر والإيمان.. ثم التوجيه إلى واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما أساس المجتمعات وقيامها على الحق والخير والبر، ثم الوصية بالصبر على مكاره الدعوة إلى الله، ومتاعب الجهاد في سبيله، ففي

الصبر - كما جاء في الحديث - خير كثير وجزاء الصابرين كما يقول القرآن كبير: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾.

وهي رابعاً: الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس، وعن الخيلاء مشياً في الأرض.. فإن الله يبغض كل مختال فخور.

وهي خامساً: الأمر بالاعتدال في الخطى، وخفض الصوت عند الكلام. لأن رفع الصوت ليس من أدب الإنسان بل هو شأن الحيوان.

وهل بعد هذه الأخلاق الكرائم، والآداب الحسان من تربية ينشدها الآباء لأبنائهم، أو يطلبها الشيوخ لشبابهم؟!.

* * *

ونمضي في تأمّل آي القرآن الكريم، فنجده يثني على جماعة من الشباب بأنهم ﴿ فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾[1] لماذا؟ لأنهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة، ولجأوا إلى الله في كهف يعبدونه ويدعونه ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيِّىء لنا من أمرنا رشداً ﴾[2].

---

(١) سورة الكهف ١٢.

(٢) سورة الكهف ١٠.

ونجد القرآن ـ في موضع آخر، في سورة كاملة ـ يضرب نبيَّه يوسف عليه السلام مثلاً للشباب الصالح العفيف الذي يستعصم عن الفسوق، وهو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز، ويتصدّى لرغبتها فيه، ودعوتها إياه واستعدادها له: ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلّقت الأبواب وقالت: هيت لك قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي.. إنه لا يفلح الظالمون ﴾[1].

كما نقرأ في أواخر سورة (النور) تأديباً قرآنياً رائعاً لأعضاء الأسرة المسلمة يشمل الشاب، في موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار في أوقات الراحة والخلوة: ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم، كذلك يبين الله لكم آياته. والله عليم حكيم ﴾[2] وذلك لئلا يطلع الشباب على علاقات آبائهم الخاصة، فينشغلوا بها، قبل أوانها. وفي ذلك فساد كبير. وفي اهتمام السنة بتربية الشباب ـ كما سيأتي ـ توجيه آخر من هذا الوادي.

وأخيراً نجد القرآن يصوِّر لهفة الآباء، وحرصهم على صلاح

---

(١) سورة يوسف ٢٣.

(٢) سورة النور ٥٩.

ذريتهم في الدنيا، تمهيداً للحاقهم بهم في سعادة الآخرة: ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾[1]. ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل امرىء بما كسب رهين ﴾[2].

وبصفة خاصة يروي لنا القرآن قصة نوح عليه السلام مع ابنه: ﴿ قال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ ولكن الابن أصر على الافتراق عن أبيه، فلم ييأس نوح وتوجّه إلى ربه العزيز الحكيم بقلب الأب العاطف اللاهف: ﴿ رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ﴾ إلخ... وقريب منها قصة إبراهيم عليه السلام في سؤال ربه عزّ وجلّ أن يشمل بنيه بالصلاح: ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ وأن يجعلهم أئمة هدى مثله: ﴿ قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي.. قال: لا ينال عهدي الظالمين ﴾.

فالقرآن إذن بما يقدم لنا من وصايا وآداب وقصص عن (الأبناء) وضرورة عناية (الآباء) بتقويمهم وتعليمهم إنما يؤكد

---

(١) سورة الفرقان ٧٤.

(٢) الطور ٢١.

اهتمامه البالغ بشباب الأمة الإسلامية، لأنه في يومها مشرق أمل، وفي غدها مناط عمل وجهاد. .

اهتمام الرسول بالشباب

ونتأمل ـ الآن ـ اهتمامات نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام بالشباب: تعليماً وتربية وتوجيهاً إلى الخير، وانتفاعاً بنشاط الشبيبة وحماسها وإخلاصها ـ فقد رويت عنه ﷺ الأحاديث التالية:

● «أوصيكم بالشبان خيراً، فإنهم أرق أفئدة. . إن الله بعثني بالحنيفية السمحة، فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون ﴾.

● «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

● كما ذكر عليه الصلاة والسلام في ما يسأل عنه العبد يوم القيامة قبل أن يقضى له أو عليه أنه «يسأل عن شبابه فيم أبلاه».

● وعدّ الرسول في السبعة الذين يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «الشاب الذي ينشأ في عبادة ربه».

● «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

● «ما نَحَل والد ولـده نِحلةً أفضل من أدب حسن».

● «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع».

● «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وألبسوهم السراويل، وفرقوا بينهم في المضاجع».

● «أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم».

● «من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه».

● «ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

● «يا غلام أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله».

وغير ذلك من توجيهات تربوية يختص الإسلام بها الشباب لا نحصيهـا في هذا الفصل، لئلا نطيل على القارىء، وبتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب؛ يتبين أن الإسلام حريص على أن يلفت أنظار أتباعه وأفكارهم إلى حقيقة تكوين الشاب كغرسة ناشئة طرية، قابلة للتشكيل والتلوين عـلى الصورة المرادة.

كما يلفت أنظارنا وأفكارنا إلى خطورة هذه المرحلة من عمر الإنسان، للمسارعة والاستباق إلى رعاية تشكيلها وتلوينها على الصورة الطيبة الفاضلة التي يريدها الإسلام، والتي يحثّ عليها القرآن والسنة النبوية.

ولأن الشباب ـ كما جاء في التوجيه النبوي الأول أرقّ أفئدة، لم تتراكم بعد على قلوبهم غشاوات العادات والأخلاق التي تتركز عادة في طبائع الشيـوخ كانوا ـ أي الشبان ـ: أسرع إلى الاستجابة لدعوة الإسلام، ونصرة رسوله الكريم، ﷺ.

وللسبب نفسه يحثّ الرسول ﷺ، فيما سبق من توجيهاته وتنبيهاته على أن يحسن الآباء تأديب أولادهم وهم صغار قبل أن يشبوا عن الطوق وتتحجر عقولهم وقلوبهم على طبائع منكرة، فيصعب تهذيبها أو تطبيبها في الكبر.

ويعدّ النبي ﷺ تأديب الوالد لابنه الشاب أفضل عطية يهبها إياه، بل هي خير من الصدقة يمنحها غيره.

وفي سبيل المحافظة على الشباب من الاندفاع مع فورة الحداثة وثورة العاطفة يوصي الرسول ﷺ الشبان بالزواج، لأن فيه سكناً ومودة ورحمة بين الجنسين من الشباب، وفي حالة تعذّره أو تعسّره.. عليهم بالصوم ليخفف عنهم إلحاح العاطفة، ويلطّف فيهم فورة الشبيبة.

ثم يوصي الرسول ﷺ في بعض تلك الاهتمامات أن يغتنم الشاب شبابه الذي هو قوة وفتوة، وحماس وإخلاص، قبل أن يهرم، فلا يستطيع طلباً للعلم النافع، ولا إنجازاً للعمل الصالح، ولا أداء لواجبات دينه وأمته ووطنه: دعوة وجهاداً وذياداً.

كما يوصيه أن يحفظ الله.. أي يتقيه ويطيعه ائتماراً وازدجاراً، فجزاء ذلك أن يحفظه الله.. أي يكون معه في كل ما يسلك من طريق نحو معيشته وعمله وعبادته، بالتوفيق والتيسير والعون، والوقاية من كل سوء..

وأن يكون اتجاهه بالسؤال والاستعانة إلى الله وحده، فهو المالك المتصرف في الكون كله وفي الناس كافة: خلقاً ورزقاً ونفعاً وضراً، وإحياء وإماتة، ورفعاً وخفضاً.

كما يحث التوجيه النبوي إلى الأمر بالصلاة. . حتى تصبح الصلاة للفتيان عادة لا يستطيعون منها فكاكاً، وهي بطبيعتها تهذيب لنفس الفرد وسلوكه، ونهي له عن الفحشاء والمنكر كما يقرر القرآن الكريم ذلك.

ونلاحظ أن التوجيه النبوي ألزم الآباء والأمهات بإلباسهم لأولادهم ذكوراً وإناثاً السراويل، والتفريق بينهم في المضاجع. . لأنهم في هذه السن أو هذه الفترة من العمر، تتنبّه فيهم الحوافز العاطفية والجنسية، فلا بد خلال هذه الفترة الحرجة من آداب وأخلاق تلزمهم الحياء، وتصرفهم عن التفكير في أمور سابقة لأوانها.

وقد أشرنا من قبل حين تحدثنا عن اهتمام القرآن بالشباب، إلى بعض آداب الأسرة التي شرعها الإسلام بصيانة الشباب من الانحراف الجنسي، وهي (العورات) الثلاث التي منع الصغار من الدخول على آبائهم وأمهاتهم خلالها إلا بعد أن يستأذنوا. .

كل ذلك لينشأ الشباب أطهاراً أبراراً، بعيدين عن النزوات والشهوات التي تضعف الهمم، وتهدّ العزمات، وتصرف الشباب عن الاهتمام بالجد في الدراسة، وطلب المزيد من العلم. .

اهتمام علماء السلف بالشباب

ومن وصايا علماء سلفنا الصالح ـ من صحابة وتابعين ـ بالشباب؛ ما كان يقوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للشباب أنفسهم: (إيـاكم والتنعّم ـ وإيـاكم وزي العجم ـ وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب ـ واخشوشنوا ـ وانزوا على الخيل، واضربوا بالسهام).

● وما يقوله ابن شهاب الزهري: (لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان، واستشارهم يبتغي حدة عقولهم).

● وما يقوله ابن الجوزي: (إن الشباب أمانة عند آبائهم، وإن قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لكل نقش، فإن عوّدهم آباؤهم الخير نشأوا عليه، وإن عوّدوهم الشر نشـأوا عليه، فينبغي أن يصونوهم ويؤدِّبوهم ويهذِّبوهم، ويعلموهم محاسن الأخلاق، ويحفظوهم من قرناء السوء، ولا يعوِّدوهم التنعّم والرفاهية، فتضيع أعمارهم في طلبها إذا كبروا).

الإسلام في الأساس
كان
حركة شباب

ونعود فنذكر بالحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة.. فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ» لنتبين سر مخالفة الشيوخ للدعوة الإسلامية بادي الرأي.. فهذا العالم الفرنسي (ليرمث) المختص بعلم الجهاز العصبي يكشف سر (الخلاف الدائم بين فئة الشبيبة وبين الفئة المتقدمة في السن.. إن سببه هو فقدان دماغ الشيخ ليونته مع تطاول العمر، وبالتالي عجزه عن الانسجام مع أوضاع جديدة وأفكار عصرية).

وصدق الرسول الكريم.. لقد كانت حركة الإسلام الأولى: حركة شباب، ويعترف بذلك (مونتقمري وات) في كتابه (محمد في مكة) إذ يقول: (لقد انتمى إلى الإسلام شباب ينحدرون من أفضل العائلات، وأشهر القبائل، وإن أهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين الأوائل: هي أن الإسلام كان في الأساس حركة شباب).

وتأكيداً لهذه الحقيقة التاريخية التي يذكرها الحديث النبوي، ويشهد بها المستشرق (مونتقمري وات) نثبت هنا بعض أسماء

الفتيان والشبان الذين استجابوا لدعوة الإسلام، وتولوا هم بعد ذلك رعايته ودعايته، والجهاد في سبيله ونشره في العالمين:

(علي بن أبي طالب ـ ٨ سنوات).

(الزبير بن العوّام ـ ٨ سنوات).

(الأرقم بن أبي الأرقم ـ ١١ سنة).

(سعد بن أبي وقاص ـ ١٧ سنة).

(جعفر بن أبي طالب ـ ١٨ سنة).

(صهيب الرومي ـ ١٩ سنة).

(زيد بن حارثة ـ ٢٠ سنة).

(عثمان بن عفان ـ ٢٠ سنة).

(عمر بن الخطاب ـ ٢٦ سنة).

(أبو عبيدة بن الجراح ـ ٢٧ سنة).

(بلال بن رباح ـ ٣٠ سنة).

(عبد الرحمن بن عوف ـ ٣٠ سنة).

(أبو بكر الصديق ـ ٣٧ سنة).

الشباب الإسلامي
انحرافاته ومشكلاته

بعد ذلك العرض الموجز لاهتمامات القرآن والسنة وعلماء السلف.. بالشباب: تعليماً وتربية وتوجيهاً نتحدث بإيجاز أيضاً عن انحرافات الشباب ومشكلاته، وما ينبغي لنا، بل ما يجب علينا من المسارعة إلى إنقاذه وإصلاحه وتقويمه.

مما لا ريب فيه أن هذه الانحرافات والمشكلات التي يعاني منها الشباب الإسلامي - في عصرنا الحاضر - هي نتيجة لأسباب وعوامل متعددة ومختلفة.. بعضها ذاتي، وبعضها محلي، وبعضها خارجي.

أما السبب الخارجي لانحرافات الشباب المسلم ومشكلاته، فهو العدوى السريعة الفتاكة التي انتقلت من شباب الغرب العلماني، وشباب الشرق الإلحادي، إلى شباب العالم الإسلامي عن طريقين: الأول هو الاستعمار السياسي سابقاً، وما خلّفه من استعمار فكري وثقافي وتشريعي. الثاني هو الاتصال الحضاري والثقافي الدائم بين العالم الإسلامي والعالمين الغربي والشرقي.. فكثيراً من الشباب المسلم، يتلقون العلم في معاهد الغربيين وجامعاتهم، وكثير من خبرائهم ومدرسيهم يستقدمون للعمل في المعاهد والجامعات والمؤسسات العربية والإسلامية..

أما السبب المحلي لانحرافات الشباب ومشكلاته.. فهو هذا التناقض الاجتماعي العجيب الذي يشيع في جوانب شتى من حياة الشباب: في البيت، والمدرسة، والسوق، والشارع، والنادي.. إن الشباب - في مجتمعه - يتعلم في مدرسته أموراً دينية، ويستمع من العلماء والوعّاظ إلى دروس أخلاقية.. ثم ينطلق إلى البيت والسوق والنادي، فلا يرى أثراً أو صورة أو مثالاً لما تعلمه في المدرسة، أو استمع إليه في المسجد.

ثم يتكرر هذا التناقض عندما يرى الشاب في التلفاز، أو يسمع في المذياع قصة إسلامية رائعة تبدو فيها الأسرة مسلمة العقيدة والسلوك، أو حديثاً دينياً يحثّ على مكارم الأخلاق، ويروي أو ينقل بعض الآداب القرآنية والنبوية.. ثم بعد ذلك مباشرة يرى أو يسمع، من نفس المذياع أو ذات التلفاز: قصصاً تمثيلية، أو أغنيات أو أحاديث.. تغري بمشاهدها وكلماتها وحركاتها بالفسق والفجور وعظائم الأمور!.

هذا إلى جانب ما يرى - في المكتبات التجارية - من كتب وصحف ومجلات تتناقض موضوعاتها وصورها وقصصها وتورث قلوب الشباب حيرة وضلالاً، لا يميّز معها الطيب من الخبيث.

إن هذا (التناقض) الشائع في المجتمعات الإسلامية هو

السبب المحلي لانحرافات شبابنا ومشكلاته، وهو ـ في نظرنا ـ أهم الأسباب الثلاثة وأخطرها، وأجدرها بأن نبدأ بإصلاحه وتقويمه.

أما السبب الذاتي.. فهو طبيعة الشباب: الحدة والجدة وحب الانطلاق، والحرص على الحرية، والفراغ من المهمات والشواغل. وهو ـ في نظرنا ـ أيسر الأسباب الثلاثة، وإصلاحه والخلاص منه، يتأتى تلقائياً بالخلاص من (التناقض) الذي يعمّ سلوك المجتمعات الإسلامية كلها: في مناهج تعليمها، وفي برامج إعلامها إذاعة وتلفازاً وصحافة وكتاباً، وفي أحكام تشريعها الشخصي والجنائي، وفي المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية.

إذا استطاع المسلمون حكاماً وعلماء ومفكرين ومعلمين ـ أن يتخلصوا من هذا (التناقض) الرهيب الرعيب في سلوك مجتمعاتهم.. عاش الشباب بخير وطمأنينة، وذهبت حيرته وثورته، وانتهى تقليده لانحلالات شباب الغرب وانحرافاته، واقترب من دينه اعتقاداً وسلوكاً وعبادة، وأحسّ بالأمن النفسي والخارجي.. فيما يتحقق له من توافق بين المبادىء الدينية والأخلاقية، وسلوك المؤسسات الثقافية والإعلامية والاجتماعية والإدارية والتجارية في مجتمعه الإسلامي.

وباختصار: إن ما يقرأه الشباب الإسلامي أو يسمعه في جامعته أو مدرسته أو مسجده أو كتابه أو صحيفته عن عدالة التشريع الإسلامي، وأصالة حضارة الإسلام، وقصص أبطاله ورجاله وخلفائه، التي ملأت سمع الزمان وبصره مجداً وحمداً، إن هذا المقروء أو المسموع يجب أن يجده الشباب حقيقة واقعة في البيت والمدرسة والجامعة والنادي والسوق والإدارة والوزارة.

وسيكون من طبيعة المطابقة بين السلوك والمبدأ: أن يعطي الآباء والحكام والعلماء والمربون والمدرسون والمفكرون والكتاب والوعاظ والرؤساء والوزراء.. القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة من أنفسهم للشباب. وبذلك يقضون على انحرافاته ومشكلاته، وينتفعون بجهوده وطاقاته، لخير دينه وأمته ووطنه.

كيف نملأ فراغ الشباب والطلاب؟

بقي أن نتحدث عن (فراغ) الشباب طلاباً وغير طلاب، فالشباب من الطلاب مشغولون أكثر يومهم أو أسبوعهم أو شهرهم بالدراسة والمذاكرة. ولكن لديهم ـ مع ذلك ـ فترات (فراغ) يومياً وأسبوعياً وشهرياً بل سنوياً.. وهي العطلة الدراسية طويلة الأمد التي تمتد قريباً من ثلاثة شهور أو تزيد.

والشباب من غير الطلاب، أي العاملين في وظائف الدولة أو العمل التجاري، أو المؤسسات الأهلية.. لديهم (فراغ) أطول، وفترات راحة واستجمام أكثر.

وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[1]، وما أصدقه من حديث، وما أمرّه من واقع أليم يعيشه المغبونون في صحتهم وفراغهم، حيث يهدرونها في لهو ولغو، وفي عبث وضياع، دون انتفاع بعلم أو عمل، ودون ممارسة لرياضة جسدية أو عقلية أو روحية.

والشباب هم أول المقصودين بهذا التوجيه التربوي السامي، فهم أكثر الناس صحة، وأوفرهم عافية بحكم أعمارهم الفتية الناشئة. وهم أرغب الناس في (فراغ) وأجهدهم سعياً إليه، وبحثاً عنه.. بحكم قلة مسؤولياتهم الاقتصادية والاجتماعية، بل انعدامها أحياناً، لأنهم مكفولون من آبائهم مكفيون من أولياء أمورهم: مأكلاً وملبساً ومركباً. ولذلك فهم أعظم غبناً في صحتهم وفراغهم من غيرهم.

ونحن الآباء ورجال التربية والتعليم والشؤون الاجتماعية مسؤولون مع الشباب عن شغل (فراغهم) بما ينفعهم،

---

(١) رواه البخاري.

ويمتِّعهم متعة نظيفة شريفة، وينفع في الوقت نفسه، وطنهم ومواطنيهم من أعمال وخدمات اجتماعية وعمرانية، وتعليمية، ورياضية، وتربوية.

إن هناك مجالات رحبة، وفرصاً عديدة أمام الشباب طلاباً وغير طلاب: لتكوين الجمعيات الثقافية والسياحية والرياضية، والقيام برحلات وجولات داخل مناطق المملكة على الأقل، والتطوع في أعمال الطرق والمساهمة في تعليم الأميين، والاستزادة من الدراسة الحرّة في بعض العلوم والمعارف واللغات الأخرى وزيارة المكتبات الخاصة والعامة للقراءة والبحث.

وللشباب من غير الطلاب، الذين لم يستكملوا دراستهم لأسباب اقتصادية أو اجتماعية، فرص متاحة لاستتمام هذه الدراسة، بالانتظام في المدارس الليلية، أو الانتساب للكليات التي تقبل الانتساب، أو تعلّم لغة أجنبية، أو خبرة فنية، وما إلى ذلك من انشغالات والتزامات، ترقى بمستوياتهم العلمية والفكرية، وتنأى بهم عن مؤديات (الفراغ) وجناياته على الأخلاق العامة والخاصة.

أليس ذلك خيراً من أن ندع الشباب في عالمنا العربي

والإسلامي، يقبل بكليته على نشر صوره وعنواناته في المجلات، فيما يطلقون عليه (باب التعارف) ويذكر تحتها هواياته العابثة التافهة.. فهذا يحب المطربة الفلانية، وهذه تعجب بالمغني (فلان) وهذا يعشق الموسيقى، وهذه تنتظر أن يراسلها شاب أو طالب من البلد الفلاني، وذلك يطلب تبادل الصور والطوابع مع الآخرين بل مع الجنس الثاني بالذات؟

بل أليس ذلك خيراً من أن ندع (الشباب) يلتهم الكتب والمجلات الجنسية، التي يزعم أصحابها الأطباء أنهم يقدمون لقرائها أبحاثاً ودراسات صحية، وهم في الواقع المشهود يدسّون السم في العسل، حين يفتحون صفحات مجلاتهم لتساؤلات المراهقين والمراهقات في شؤون الجنس، ويتولون الإجابة عليها في صراحة ووقاحة تزيد الشباب نهماً، وتمد له في حبال النزوات والشهوات، وتصرفه عن الاهتمام بمعالي الأمور ومكارمها، إلى الاهتمام بالسخافات والتفاهات الجنسية؟.

إن هذه المصارف والمشاغل الجادة التي أقترحها لتكون بديلاً للشباب عن مصارفه ومشاغله التافهة الحقيرة إنما يسأل عن تحقيقها وإنجازها: وزارات التربية والتعليم والإعلام والشؤون الاجتماعية، في العالم العربي والاسلامي كله. وهي تستطيع بإمكاناتها المادية والأدبية أن تستنقذ «الشباب» من ضياعه

وفراغه، ولتجعل منه أملاً عذباً، وعمداً صلباً لبلاده ومواطنيه، وجنداً صادقاً قادراً على الجهاد والذباد.

وأعود فأذكِّر بما أسلفت؛ من أن ما يكتب وما يذاع في صحافات العالم العربي والإسلامي وإذاعاته وتلفازاته من أبحاث ودراسات، ونداءات، وتوجيهات دينية، لوعظ «الشباب» وز... لا يغني فتيلاً، ولا يردع من انحراف ولا يمنع من فسوق، لأ... الكلام وحده لا ينفع، إذا كان واقع المجتمعات العربية والإسلامية مخالفاً له، معاكساً إياه.

فلا بد إذن من العمل الجاد مع المواعظ العلمية والنصائح الخلقية.. التي ينشغل بها الشباب سلوكاً واقعاً، ويكون ... مصدر قوة، وخير، وعزة لوطنه، ولمواطنيه.

حديث إلى الشباب

- حول تأثرهم بالدعوات والأفكار الهدامة للعقيدة والخلق .
- وهجرهم للعبادات الإسلامية التي هي خير تربية لهم تقوِّي عقيدتهم ، وترفع أخلاقهم .

إن تخلّف المسلمين، وانهزامهم أمام عدوهم الحقير، واضطراب أحوالهم، وقلق مجتمعاتهم لكل أولئك سبب واحد لا ثاني له: هو اتخاذهم القرآن مهجوراً، وهو الكتاب الذي بعث به إليهم نبيهم الكريم، ليكون لهم عصمة من الزلل، وعزة من الهوان، وقوة من الضعف، وسبيلاً إلى الخير.

وأنتم ـ أيها الشباب المسلم ـ هدف الأعداء ومرمى سهامهم طعناً في دينكم، وهدماً لكيانكم وتفريقاً لشمل أمتكم، وتوهيناً لوحدتها، وإذلالاً لعزتها..

كما أنكم سريعو التأثّر ببريق دعواتهم المخربة، ومبادئهم الهدامة للأخلاق، وأفكارهم الهازئة بالله خالقاً ورازقاً ومدبراً للناس والكون، وحقيقاً بالعبادة والتوحيد.

من أجل ذلك أتحدث إليكم باختصار عن (الإسلام) عقيدة وشريعة، باعتباره آخر الأديان السماوية، وناسخاً لها، وباعتبار رسوله عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ومصدقاً لهم جميعاً،

وباعتبار شريعته كافلة لمصالح الإنسان في دنياه وأخراه.

ونبدأ الحديث بذكر آيتين من القرآن الكريم تتلخص فيهما فلسفة المنهج الإسلامي بجانبيه الإيماني والعملي وهما قوله عزّ وجلّ ـ من سورة الحج: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم، وافعلوا الخير، لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم، وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم، وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى، ونعم النصير﴾.

● فإلى جانب الأمر بالركوع والسجود، وعبادة الله وحده يجب أن يسلك المسلم طريق الخير قولاً وعملاً وبذلاً، ففي العبادة الخالصة والعمل الصالح: الفلاح المحقق والفوز المبين.

● وإلى جانب الأمر بالصلاة ـ في ختام الآية الثانية ـ والاعتصام بالله، لأنه هو مولى المؤمن ونصيره.. يجب أن تؤدى الزكاة، وتبذل الصدقات، فبهذا التعاون المادي بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعاف، تنشأ المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، ويتم التكافل الاجتماعي، ولا يبقى أثر لمشاعر الحسد والبغضاء في قلوب الفقراء تجاه الأغنياء على العكس

من (الشيوعية) التي يقوم نظامها الفاشل، ودستورها الباطل، على تحارب الطبقات وحقد العمال على أصحاب رؤوس الأموال، وبالتالي بغض هؤلاء لأولئك نتيجة لسلب الحكومات الشيوعية لثروات الأغنياء، والاستيلاء على مصانعهم ومزارعهم، باسم إنصاف العمال كذباً وزوراً.

وبتأمل الآيتين السابقتين تنجلي ـ كما أسلفنا ـ فلسفة المنهج الإسلامي بجانبيه الإيماني والتشريعي:

- فهو دين ودولة.
- وعبادة وسيادة.
- ومحراب وجهاد.
- ومصحف وسيف.
- وتربية فردية، وتعاون اجتماعي.

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾.

﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم ﴾.

وسبيل المؤمنين هي سبيل نبي الإسلام قبلهم، وسبيل أصحابه وخلفائه من بعده.. كانوا يصلون بالناس في المساجد،

ويقودون العسكر في الحروب، ويفصلون في قضايا الرعية في المحاكم، ويتعهّدون الأفراد والجماعات بالإرشاد والتوجيه، وإنكار المنكر وإقرار المعروف، ويراقبون سياسة عمّالهم ونوابهم في المدن والأمصار، فيعزلون الجائر المنحرف، ويبقون الأمين المستقيم.

يقول العلامة الأستاذ المودودي: إن الدين الذي تؤمن به يجب أن تفوّض إليه شخصيتك كاملة.. لا تستثني منها جزءاً من أجزاء فكرك وعملك، ومن مقتضيات الإيمان اللازمة: أن تدخل في الإسلام كافة حتى يكون ديناً لعقلك، وقلبك، وعينك وأذنك، وليدك ورجلك وجسدك، ولقلمك ولسانك، ولبيتك وأطفالك وزوجتك ولمدرستك ومجتمعك، ولتجارتك ومكاسب رزقك، ولسياستك وحضارتك وأدبك، ثم لا تنسى أن تنشر مكارم هذا الدين الذي آمنت به وتبثّ محاسنه وفضائله وتدعو البشر كافة للإيمان به والدخول فيه.

● ألا ما أقوى العقيدة عاملاً على إدامة الصلة بالله، وما أمضاها سلاحاً للانتصار على متاعب الحياة، وما أغناها كنزاً تهون إزاءه متارف المال والجاه.

* * *

وكما أن العبادات هي روافد العقيدة وسواندها، تجدد القديم، وتذكّر بالمنسي، فهي كذلك روافد السلوك وسوانده،

فالمسلم: لا يعبد الله بالصلاة والصيام فقط وإنما يعبده بسلوكه الخيّر النافع له ولأهله وأسرته ولمجتمعه وللمسلمين جميعاً إذ لا خير في عبادة المسلم إذا لم تهده إلى الحق، وتنهه عن المنكر وتأمره بالمعروف.

والعبادات الإسلامية، كما يقول الدكتور (محمد علي الزعبي) تحرر الإنسان من استعباد الكهنة والسدنة وغيرهم من الذين يرون بأنفسهم شعاعاً من ألوهية أو تقديس، ويضطهدون من لا يخصّهم ببعض العبادة، كما كان يفعل قدماء الرومان والمصريين. وهي أيضاً تحرره من تقديم القرابين للمعبودات الباطلة كالشمس والقمر والكواكب وتحرّره كذلك من الاستعانة بالأموات، والقسم بأسمائهم وتقديم النذور لهم.

* * *

أيها الأخوة الشباب:

لعل من المهم والمفيد معاً أن نشير هنا إلى ظاهرة شبابية مؤسفة:

هي أن كثيراً من شباب المسلمين لا يلتزمون بفريضة الصلاة والصيام، مع أنهما ركنان أساسيان من أركان الإسلام الخمسة..

إنهم لا يصلون ولا يصومون، ويسخرون من المصلين والصائمين، ويرون في هاتين العبادتين رجعية وتخلفاً إلى القرون

الغابرة، لا يتناسبان مع حضارة القرن العشرين، ومفاهيمه، وإنجازاته العلميـة، والاختراعيـة، والتكنولـوجية. . وتختلط بتفكيرهم الناشىء الطري شبهات عن الصـلاة، والصوم، والحج أيضاً، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام. . . يثيرها المتحللون من القيم الدينية من أعداء الإسلام، وأبنائه على سواء، فتجد ـ أي هذه الشبهات ـ في أذهانهم الخالية من العقل الكامل وصدورهم الفارغة من الإيمان العميق، تربة صالحة للإنبات والإثمار، ومن هذه الشبهات الضالة المضلة أن الصلاة والصوم ـ بل العبادات جملة واحدة ـ لا موجب لها ولا داعي إليها. . ما دام الإنسان على خلق حسن، حيث لا يؤذي أحداً، ولا يضر جاراً، ولا يظلم قريباً ولا بعيداً.

وينبعث هنا سؤال، هو في الوقت نفسه رد على هذه الشبهة: هل وجد الإنسان الذي لا يؤذي ولا يضر ولا يظلم، مع أنه لا يعرف الله، ولا يعلم له أمراً أو زجراً، ولا يرقب فيه إلاًّ ولا ذمة، ولا يؤمن بيوم الحساب؟.

إن الإنسان لا يأتمر بخير، ولا يزدجر عن شر إلا إذا كان مرتبطاً بعقيدة دينية، موصولة هذه العقيدة بين قلبه كإيمان، وجوارحه كعمل، ولسانه كذكر لله توحيداً وتمجيداً وتسبيحاً، ومراقبة للغد بعد اليوم، وللموت بعد الحياة، وللجزاء بعد العمل.

أما الشبهة الأخرى: فهي ما يثيره أساتذة هؤلاء الشباب من أعداء الإسلام في جامعات أوروبا وأمريكا، حين يرون بعض طلابهم المسلمين يقيمون الصلاة، فيضحكون في وجوههم سخرية، ثم يقولون لهم: ما قيمة صلاتكم؟ وما نفعها لكم إذا كانت عقيدة القضاء والقدر من أركان الإيمان في دينكم الإسلام؟ حيث إن كل شيء خيراً أو شراً مقدر ومكتوب.

وأخيراً يجد الشباب المسلم من سخرية أعداء الإسلام، وأعدائهم بهم ـ حين يركعون ويسجدون ـ صارفاً لهم عن الصلاة.. بل عن كل العبادات الإسلامية صورة وموضوعاً..

* * *

والغريب العجيب: أن الطلاب المسلمين الذين يتأثرون بشبهات أساتذتهم الغربيين حول الصلاة والصيام فينصرفون عنها، لضعف شخصياتهم وسطحية تفكيراتهم، لا يقرأون ما تكتبه المؤسسات العلمية والجمعيات الطبية في العواصم الغربية، عن انكشاف الآثار الطيبة النافعة نفسياً وجسدياً لعمليات الصلاة والصوم.

هؤلاء الشباب المسلمون لا يقرأون ـ مثلاً ـ ما أعلنته الإحصاءات العلمية الطبية في فرنسا منذ عامين: من أن ١٧ موظفاً من أصل ٢٠ موظفاً تتراوح أعمارهم بين ١٨ عاماً

وأربعين عاماً يشكون من مرض يسمونه مرض (الديسك) ويؤكد الأطباء الفرنسيون أن هذا المرض هو مرض مدمني الجلوس على المقاعد، ويؤدّي إلى ألم في العمود الفقري، وبالتالي إلى اختلال التوازن الجسدي، كما يفسّر الأطباء الذين أجروا بحوثهم على ألوف الحالات في فرنسا، أن من أسباب هذا المرض: القلق النفسي، والتوتر، ويقولون ـ أي الأطباء الفرنسيون ـ: إن العبادة التي يمارسها المسلمون ـ أي الصلاة ـ هي أحسن علاج لمرض العصر الحديث، مرض (الديسك) وينصحون مرضاهم بممارستها.. نظراً لأن حركات الركوع والسجود ـ في الصلاة الإسلامية ـ تلين بها عضلات الظهر وتقوى[1].

وأنا لا أريد بهذا الاستدلال العلمي الطبي الرياضي أن يصلي شبابنا، لأن في الصلاة منفعة صحية لأجسامهم، أو تقوية لعضلاتهم وظهورهم، فنحن المسلمين مأمورون أن نسمع ونطيع، وأن نؤمن بالغيب، وألا نمتنع عن الإيمان أو الطاعة، حتى نفهم أسرار العبادات والتشريعات الإسلامية، أو حتى ندرك حكمتها، ولكن إذا بدت الحكمة، وتبين السر، وظهر

(١) آخر ما قرأت في ذلك كتاب (الإسلام والطب الحديث) للبروفسور محمد عالم كيرخان الأستاذ في كلية الطب بلاهور باكستان.

الأثر ازددنا إيماناً وتسليماً، فقد وعدنا الله تبارك وتعالى في قرآنه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: أن الأحداث الكونية والإنسانية، وتطورات الحياة، مع تقدم العلم الذي هو هداية منه عزّ وجلّ ـ كل ذلك سيؤكد للناس ـ مؤمنين ومرتابين أن الله حق، وأن دينه قرآناً وسنّة حق، وأن رسوله حق.

ففي القرآن الكريم:

● ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾.

● ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾.

● ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين، ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾.

وإنما أردت بهذا الاستدلال العلمي الطبي على بعض ثمرات الصلاة الصحية الجسدية، والثمرات الروحية أعظم وأهم.. أن ألفت انتباه شبابنا الذي ينصرف عن الصلاة والصيام، أو عن العبادات الإسلامية كلها، متأثراً بشبهات سخيفة تافهة لا تقوى على البحث والنظر العميقين. في الوقت الذي تشهد فيه المؤسسات العلمية الطبية الأجنبية بحكم للصلاة والصوم رائعة

نافعة، بل تنصح هذه المؤسسات العلمية الطبية الأوروبية والأمريكية مرضاها المصابين بالقلق النفسي، والتوتر العصبي، وخلل الأجهزة الهضمية من كبد ومعدة وأمعاء.. تنصحهم بممارسة الصلاة والصوم الإسلاميين[1].

أجل أردت أن ألفت انتباه شبابنا إلى أنهم يهجرون دينهم عقيدة وسلوكاً، في الوقت الذي يستفيد منه أعداؤهم الذين تعمّدوا صرفهم عن دينهم، يستفيدون من سلوكه وخلقه وتشريعه دون عقيدته روحاً وتعبداً..

* * *

أيها الأخوة الشباب.. يا فرحة الحاضر ورجاءه، وزاد المستقبل وسلاحه: اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون في تحصيلكم للعلم النافع، ثم في تقديمكم لأمتكم ووطنكم العمل الصالح الرشيد.. ولا تنسوا أن الله وعدكم وعد الحق فقال: ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾. هداكم الله، وأصلح بالكم، وجعل منكم قرة أعين لآبائكم ومعلميكم، وذخراً وفخراً لبلادكم ودولتكم. إنه سميع قريب مجيب.

---

(١) في كتابنا (محاضرات في الثقافة الإسلامية ـ فصل العبادات) مزيد من تفصيل واستدلال بآراء علماء الطب في هذا الموضوع.

حديث مع الشباب

● حول اضطراب المجتمعات الإسلامية بسبب ابتعادها عن ذكر الله في كل أعمالها وقضاياها.

أيها الأخوة الشباب أنتم - ولا ريب - أمل الحاضر، وذخر الغد، إنكم ناشئة وشباب، ولكنكم غداً رجال وقادة وأصحاب رأي وسلطان. آباؤكم ومعلموكم والناس من حولكم، والدولة من فوقهم جميعاً كـل هؤلاء بأموالهم، وقلوبهم، وعقولهم، لا مرجى لهم عندكم إلا أن تعدوا الإعداد الصالح، وتنشئوا التنشئة السوية، وتعلموا التعليم النافع لتكـونوا غـداً علماء عاملين، وقادة رأي راشدين، وسادة مجتمع كراماً تصلحون في الأرض والعمل ولا تفسدون، وتعـدلون قـولاً وحكمـاً ولا تظلمون، وتقيمون على دينكم الحق ولا تزيغـون.

من أجل ذلك.. من أجل أهميتكم الذاتية آثرت أن أتحدث إليكم بما أراه (موضوع الساعة) أو (قضية العمر) ولعل الله أن يجعل للمسلمين على أيديكم غداً فرجاً ومخرجاً.. إذا حسن إعـدادكم، وصلح استعدادكم، وصـدقت نيـاتكم وصحت

عزائمكم، فإنما الأعمال بالنيات و(الإيمان) ليس بالتمنيّ والتحليّ.. ولكنه ما ثبت في القلوب، وصدقته الأعمال.

نقل عن سلطان العلماء (العز بن عبد السلام) أنه نظر يوماً إلى تلامذته من حوله، فرآهم جميعاً يبكون، وقد افتقد أحدهم مصحفه، فقال عجباً: كلكم يبكي.. فمن سرق المصحف؟.

والمسلمون اليوم ـ أيها الأخوة الشباب ـ كلهم يبكون.. فمن سرق المصحف؟.

● الزعامات تشكو من رعاياها، والرعايا تشتكي من زعاماتها!!.

● الرئيس يشكو من موظفيه وعماله، والموظفون والعمال يشتكون من رئيسهم!.

● المعلمون يتضايقون من طلابهم، والطلاب يسأمون من معلميهم!.

● التجار يتباكون من كساد مزعوم، والمستهلكون يجأرون من احتكار التجار، وتغاليهم بالأسعار، وغشهم في السلع.

● الأطباء يضيقون صدراً بالمرضى، لأنهم لا يلتزمون بالحمية

الواجبة ولا بالدواء الموصوف، ومع ذلك يترددون عليهم، ويتوجعون لهم!.

● والمرضى حاقدون على الأطباء، لأنهم لا ينصحون في فحص الداء، ولا يخلصون في وصف الدواء!.

● الآباء والأمهات يشكون من الأولاد: جهداً في التربية والتعليم وسوء في المعاملة والجزاء. والأولاد يسخطون من رقابة آبائهم وأمهاتهم على سلوكهم، وحزمهم في معاملتهم، وحرصهم على نجاحهم.

● الأزواج تزعجهم معاملة زوجاتهم لهم: نشوزاً أو إعراضاً، أو إسرافاً في مطالب الزينة، أو إهمالاً لشؤون البيت أو تقصيراً في رعاية الأولاد.

● والزوجات لا يعجبهن إلا الرجل المطواع، الجواد، الصبور، المستجيب لكل مطلب، الملبي لكل نداء، الراضي لكل إهمال، الساكت على كل تقصير.

كلهم يبكي، فمن سرق المصحف؟ من المخطىء منهم ومن المصيب، أو من الظالم فيهم ومن المظلوم؟.

كلهم يقول: إن الزمان فسد، وكذبوا فما فسد الزمان، وإنما

الناس هم الفاسدون المفسدون للزمان.. وصدق أبو الطيب إذ يقول:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

إن الواقع المؤسف: أنهم جميعاً سرقوا المصحف؟ فكلهم راع، وكلهم مسؤول عن رعيته: الرجل راع وهو مسؤول عن بيته وأهله وولده، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والرئيس والمرؤوس راعيان مؤتمنان على مصالح الأمة، ومسؤولان عن الأمانة الثقيلة الجليلة.

والطبيب مسؤول، والمريض مسؤول، والتاجر مفروض عليه الأمانة والرفق، وحرام عليه البخس والتطفيف، والغش والاحتكار، والآباء والمعلمون رعاة أمناء وهداة إيقاظ، والأبناء مطلوب منهم أن يبروا آباءهم وأمهاتهم، وأن يحترموا معلميهم، وأن يستفيدوا منهم.

* * *

إن المجتمع الإسلامي بلغ من (العبث) درجة انعدم فيها الرابط والضابط، واستوى السائل والمسؤول، واختلط الحابل بالنابل، حتى أصبح كلهم يبكي، وكلهم سرق المصحف!.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. ونحن المسلمين اليوم خائفون حزنى. لماذا؟ لأنهم يفتقدون شروط الأمن، وأسباب الفرح.. فقد وصف الله أولياءه الآمنين بأنهم: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ووعدهم في الآية التالية: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا، وفي الآخرة﴾.

● ويقول تبارك وتعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾. والمسلمون اليوم يعيشون في ظلمات الفرقة والذل والمعصية، وظلمات الجهل والضعف والمرض.

● ويقول سبحانه: ﴿ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾. والمسلمون اليوم مغلوبون لأحقر عدو وأذله وأقله مع كثرتهم وقلته، وغناهم وفاقته.

● ويقول عزّ وجلّ: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فاذكروني أذكركم، واشكروا لي ولا تكفرون﴾.

فالله قد بعث إلينا رسولاً من أنفسنا، وهو يمنّ علينا بذلك منّاً، أفبعثه لكي نلهو ونلعب؟ ونرقص ونطرب ونملأ فراغات

حياتنا بأباطيل القول والعمل، ولذائذ الأكل والشرب ومحرمات السمع والبصر؟.

لا. إنما بعثه إلينا ليتلو علينا القرآن الذي سرقناه وبعناه بأبخس الأثمان.. تماماً كاللص الذي يسرق الجوهرة الثمينة، أو السوار الذهبي النفيس، ثم يبيعه بثمن بخس دراهم معدودة.

لا تستغربوا هذا التشبيه والتمثيل.. فالمسلمون سرقوا القرآن لأنهم لم يقفوا عند حدوده، ولا حرّموا حرامه، ولا حللوا حلاله، ولا أقاموا معالمه، ولا حفظوا مكارمه. وكذلك وصف الرسول الكريم ﷺ الرجل الذي لا يتم صلاته ركوعاً وسجوداً وقياماً وقعوداً بأنه (سارق) بل إنه أسرق الناس.. في حديثه الذي يقول فيه: «أسرق الناس الذي يسرق صلاته». قيل يا رسول الله: كيف يسرق صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها».

وبعثه الله إلينا ليزكينا ويعلمنا الحلال والحرام.. ثم أمرنا أن نذكره بالإيمان والتقوى، ليذكرنا بالحفظ والنصر، ووعدنا إن صدقنا وعملنا صالحاً أن نحيا حياة طيبة في الدنيا، ثم أجر الآخرة أعظم وأكرم: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾. وقال في المقابل: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾.

فلكل هذه المعيشة الضنك، وهذا العبث الطاغي على شؤون المسلمين في كل أوطانهم، ولهذا الهوان المضروب عليهم: سبب واحد لا ثاني له: هو اتخاذهم القرآن مهجوراً، هو إهمالهم لذكر الله في كل أحوالهم، وهجرهم للدين أمراً وزجراً، ووعظاً وذكراً.

● والمسلمون اليوم لا ينتفعون بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج. ولا أي منسك أو عبادة أو عمل مما افترضه الله عليهم.. لأن فريقاً منهم لا يؤديه إطلاقاً والفريق الثاني يؤديه رسماً لا موضوعاً، وشكلاً لا حقيقة، وقليل جداً هم الصادقون والإسلام دين النوايا والموضوعات والحقائق. وليس دين النفاق والمنافقين الذين ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، يراؤون الناس، ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾.

● والمسلمون اليوم لا يذكرون الله إلا قليلاً، لا يذكرونه بقلوبهم وعقولهم وأعمالهم، ولا يذكرونه في متاجرهم

وأسواقهم، ولا يذكرونه في مكاتبهم ومدارسهم، ولا في بيوتهم وأسرهم، ولا في سلمهم وحربهم.

لو كان المسلمون اليوم يذكرون الله كثيراً، ويلتزمون الصدق والأمانة والوفاء.. في كل ما يقولون ويعملون، لكان لهم من الله عزّ وجلّ سلطان ونور... في أبصارهم وأسماعهم وأيديهم وأقدامهم؛ وكانت سلمهم هناءً وعزاً، وكانت حربهم للعدو غنيمة لهم ونصراً.

وصدق الله الجواد الكريم، إذ يقول في الحديث القدسي: «ما تقرّب إليّ عبدي بأحب مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

ويؤكد القرآن حقيقة عواقب الإيمان والتقوى والذكر الدائم لله عزّ وجلّ.. بركات من السموات والأرض، ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾.

ويقول عن أهل الكتاب ـ ونحن المسلمين مخاطبون بكل ما جاء في القرآن من توجيه وتنبيه للأمم الغابرة ـ ﴿ولو أنهم

أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾. كذلك نحن المسلمين لو أقمنا القرآن عقيدة وشريعة وخلقاً وسلوكاً، وذكرنا الله قياماً وقعوداً، وعلى جنوبنا، لأكلنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا، ولانتصرنا في حربنا، وعوفينا في سلمنا. ولو أن المسلمين أقاموا القرآن وذكروا الله وتذكّروا أمره الحازم المكرر في عديد من الآيات القرآنية: بألا يتخذوا أعداءهم وأعداء دينهم أولياء.. لما تفرق شملهم، ولا تصدع كيانهم، ولا اختلفت كلمتهم، ولا نزع الله مهابتهم من صدور أعدائهم، ولا كانوا غثاء كغثاء السيل، كما جاء ذلك في تصوير رائع لحديث نبوي جليل.

لقد حثنا الله تبارك وتعالى على ذكره في تقلبنا لطلب المعيشة واكتساب الرزق، فقال: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾.

وكرر ـ عزّ وجلّ ـ الحث نفسه، بعين العبارة وألفاظها حين حثنا على ذكره، عندما نلقى العدو المتربص بنا فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾.

وهكذا ترون أن الفلاح في معركة الرزق والكسب أي في السلم، وفي معركة الحرب مع العدو، مترتب على ذكر الله عزّ وجلّ: بمعنى تقواه ومراقبته وطاعته، واللجوء إليه بطلب التوفيق والنصر.

ولذلك هزم المسلمون في الجولة الأولى من معركة أحد، وانهزموا كذلك في واقعة حنين - مع أن الرسول ﷺ كان قائدهم ورائدهم - لما خالفوا سنة الله في اكتساب النصر، وعصوا أمر قائدهم في الموقعة الأولى، واغتروا بكثرتهم في الثانية، وقال بعضهم: (لن نغلب اليوم من قلة) وأنزل الله في ذلك قرآناً يتلى على مر العصور، ليكون لنا موعظة وذكراً: ﴿ ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم، فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت، ثم وليتم مدبرين ﴾.

* * *

إن قضية فلسطين مثل واحد من أمثلة كثيرة على هزيمة المسلمين، في معاركهم مع أعداء دينهم، ومخربي حضارتهم، ومغتصبي أوطانهم، ومذلّي أعناقهم، وآكلي ثرواتهم.. ولو أنهم آمنوا واتقوا - كما يؤكد القرآن الكريم - لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولجاءهم النصر مبيناً على عدوهم المبين:

● ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده؟ ﴾.

● ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾.

● ﴿ فاذكروني أذكركم، واشكروا لي ولا تكفرون ﴾.

● ﴿ ادعوني أستجب لكم. إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾.

قد تكرر توجيه القرآن للرسول ﷺ والمسلمين معه إلى ذكر الله وتسبيحه والاستعانة به في كل شؤونهم، فهم مأمورون بذكر الله ذكراً دائماً لازماً لكل أحوالهم، وهم حين نسوا الله أنساهم أنفسهم، وعطّل طاقاتهم عقلياً وجسدياً، فلم يعد عندهم تفكير سليم، ولا عمل صالح، ولا شجاعة عند لقاء العدو، ولا بركة في طلب العلم والتماس الرزق. ولم تعد لهم معرفة صحيحة بعدوّهم وصديقهم، فاتخذوا الأعداء أولياء، وهجروا الأقرباء والأصدقاء، بل أعلنوا على أهليهم وذويهم وأخوتهم في العرق والدين حرباً يضرب بعضهم فيها رقاب بعض، بينما عدوهم اللدود الذي اغتصب أرضهم وديارهم وأموالهم ينظر إليهم ضاحكاً شامتاً، متمنياً لهم مزيداً من الفرقة والخلاف، ومزيداً من التخريب وسفك الدماء.

وهم حين نسوا الله نسيهم . . فلم يعد عزّ وجل يذكرهم برحمة ولا لطف، ولا توفيق إلى الخير، ولا هداية لأسباب النصر، فهم في غناهم فقراء، وفي جماعتهم ضعفاء وهم على علمهم جهلة، وعلى كثرتهم غثاء كغثاء السيل.

● **أيها الأخوة الشباب . .**

أنتم ـ كما أسلفت في فاتحة حديثي إليكم ـ أمل الحاضر، وذخر المستقبل. وأماني الآباء والأمهات، والمعلمين والمعلمات، والسادة والقادة، والدولة من فوقهم جميعاً، معقودة عليكم . . على صلاحكم في أنفسكم وإصلاحكم لما فسد في مجتمعاتكم الإسلامية في كل أقطار الدنيا . .

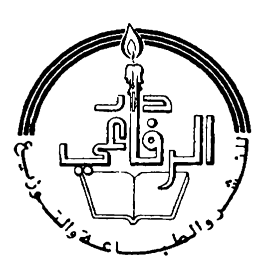
فلا تبدِّلوا آمالهم خيبة، ولا تفاؤلهم شؤماً، وأنجزوا الوعد، وأوفوا بالعهد، وأصدقوا الحديث، وشدوا العزيمة . .

هداكم الله وأصلح بالكم وهيأ لكم من أمركم رشداً ●

أحمد محمّد جمال

فسح من وزارة الإعلام برقم/٣١٧٣/ م

تاريخ /١٨/ ١٢/ ١٣٩٤ـ الرياض



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

* الكاتب بقلمه *

أما المؤلف فهو الكاتب الإسلامي الشهير الأستاذ أحمد محمد جمال عضو مجلس الشورى، وأستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز وصاحب المؤلفات الإسلامية المتعددة التي منها:

- محاضرات في الثقافة الإسلامية.
- مفتريات على الإسلام.
- على مائدة القرآن - أربعة أجزاء.
- مكانك تحمدي.
- نحو سياسة عربية صريحة.
- استعمار وكفاح.
- الطلائع - ديوان شعر.
- كرائم النساء - وهو من سلسلة «المكتبة الصغيرة».

أما هذا الكتاب، فدراسة جادة، في أسلوب شيق سهل لمشاكل الشباب، واهتمام الدين الإسلامي بهم وأحاديث صريحة معهم وإليهم.. إنه كتاب يحتاجه الآباء لأنه جسر التفاهم مع الأبناء، ويسر به الأبناء لأنه يرشدهم إلى الطريق السوي.. الذي يرسمه أب خبير، ومربٍ كبير، ومرشد إسلامي شهير.

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

الثمن: ٤ ريالات